مصادر القوة والضعف في حياة اللغة العربية

أ.م.د. ميثم مهدي الحمامي و أ.م.د. عباس علي الفحام

مشكلة البحث

تعد اللغة العربية اليوم من بين أكثر اللغات القديمة التي ثبتت بوجه عوامل الانقراض والتطور الزماني والمكاني. وهذه الدراسة تأتي في ظل اشتداد تصارع اللغة العربية المعاصرة مع اللغات العالمية محاولة للكشف عن أصول قوتها للعمل على ديمومتها وتعزيزها ، ومن أجل تحديد مصادر ضعفها لتطويقها والعمل على إضعافها والقضاء عليها، فهي تعالج إشكالية محددة تتمثل بتلك القوتين المتنافرتين اللتين تتنازعان اللغة ومحاولة تحديد الأقوى منهما.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأتم الصلاة والتسليم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين ، وبعد ، فقد كانت اللغة العربية شغل الكثيرين من أبنائها العلماء الغيورين على الحرص عليها من كل شائبة ، فاجتهدوا وجمعوها وقعدوا لها القواعد وفسروا الغريب فيها فكانت العلوم العربية المختلفة من نحو وصرف وبلاغة ونقد ، وذلك كله من أجل خدمة التفسير القرآني وفهم النص المقدس ، إذ كان من نعمة الله على لغتنا أن اتخذ القرآن الكريم لغتنا معجزة له. وهذه الدراسة تأتي في ظل اشتداد تصارع اللغة العربية المعاصرة مع اللغات العالمية محاولة للكشف عن أصول قوتها للعمل على ديمومتها وتعزيزها ، ومن أجل تحديد مصادر ضعفها لتطويقها والعمل على إضعافها والقضاء عليها. لذلك تحدد عنوان البحث بـ(مصادر القوة والضعف في حياة اللغة العربية)، وتضمنت الدراسة الخطة المفصلة الآتية من المبحثين الموسومين:

الأول : مصادر القوة : وحددها بمصدرين هما: الأول : المصادر الذاتية النابعة من داخل اللغة وهي : الاشتقاق ، والمجاز ، والتعريب ، والإعراب . أما الثاني فهي المصادر الخارجية وتحددت بالقرآن الكريم ، وبالتراث القديم الضخم لها. أما المبحث الثاني فقد درس مصادر الضعف وحددها بمصدرين هما: الأول تمثل باللهجات المحلية ، وأما الثاني فأسميناها بتحديات العصر الراهن : واشتملت على أخطر التحديات المباشرة وهي : شبكات التواصل الاجتماعي ، والإعلام ، والمعارف الحديثة. ويبدو واضحا من مضامين البحث أن مصادره تنوعت بين اللغوية والتاريخية والمعاصرة . راجين تذليل الصعاب فيما يقف بوجه لغتنا الحبيبة والإسهام في انتشارها عالميا أكثر ، والله ولي التوفيق .

المبحث الأول
مصادر القوة

تمتلك العربية العديد من مصادر القوة التي جعلت منها لغة طويلة البقاء ، وتؤهلها هذه المصادر لديمومتها وبقائها ، وها هي إلى اليوم اللغة الرسمية والأدبية والدينية ، وبرغم التحديات والصعاب التي تعصف بها فإنها بقيت ثابتة قوية ، وهذا المبحث هو التفاتة إلى تلك الجوانب الوضاءة للغتنا الكريمة، وسنحاول حصر مصادر القوة من جانبين هما : الأول داخلي ذاتي والآخر خارجي موضوعي ، ولكل منهما تقسيماته التي سنقف عند أظهرها.

أولا: المصادر الذاتية الداخلية : ومنها

١- الاشتقاق

الاشتقاق وسيلة من وسائل نماء اللغات ، امتازت بها اللغات السامية من باقي فصائل اللغات الأخرى ، وقد فاقت العربية شقيقاتها في هذه الظاهرة ، إذ عرفت العربية بسعة هذه الظاهرة المهمة لتعبر من خلالها عن مختلف المعاني وأدقها ، وهذه الخصيصة سبب من أسباب اختيارها لغة للتنزيل ، وهي كذلك من أسباب ديمومتها وتجانسها مع كل العصور .لقد استقر مفهوم الاشتقاق – كما ذكر الدكتور إبراهيم أنيس – عند العلماء العرب في منتصف القرن الرابع الهجري على انه استخراج لفظ من آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصيلة ، فان بقي ترتيب الحروف على ما هو عليه في المشتق والمشتق منه كان ذلك اشتقاقا أصغر (عاما) ، وان اختلف شيء من ترتيب المادة كان كبيرا وإن اختلف إحدى الأصول كان أكبر. وتناول علماء الغرب الاشتقاق في لغاتهم ، ولكن بمفهوم آخر ، إذ يرون أنه أحد فروع علم اللغة التي تدرس المفردات وينحصر مجاله في « أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة وتزويد كل واحد منها بما يشبه أن تكون بطاقة شخصية يذكر فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتقلبات التي مرت بها . فهو إذن علم تاريخي يحدد صيغة كل كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه ويدرس الطريق الذي مرت به الكلمة مع التغيرات التي أصابتها من جهة المعنى أو من جهة الاستعمال « ١، وعلى هذا فهو علم نظري يعني بتاريخ الكلمة ، ويتتبع حياتها عبر العصور .

المجاز

إن أقدم إشارة إلى المجاز نجدها عند أرسطو في تقسيماته للاسم ، إذ ذكر أن الاسم إما « أصيل أو لغة أو استعارة أو زينة أو موضوع أو ممدود أو مقصور أو مغير « ٢، وقال في الاستعارة : أنها « نقل اسم شيء إلى شيء آخر ، فإما أن ينقل من جنس إلى نوع أو من النوع إلى الجنس ، أو من نوع إلى نوع ، أو ينقل بطريق المناسبة٣. وقد مثل أرسطو لكل نوع من هذه الأنواع .وقد نشط البحث في قضية المجاز عند العلماء العرب المسلمين ، لأسباب دينيه عقدية قبل كل شيء ، وقسموه على نوعين ، لغوي وعقلي ، والمجاز اللغوي هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له مع وجود قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. ويسمى بالمجاز المفرد ، أما المجاز العقلي فهو « الكلام المراد به خلاف ما عند المتكلم من الحكم فيه لضرب من التأويل إفادة للخلاف لا بواسطة الوضع ، وأول من ابتدع هذا التقسيم العالم الشهير عبد القاهر الجرجاني ، وسار عليه جل البلاغيين من بعده.والمجاز كما قال شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني إنه « كل كلمة أريد بها غير ما وضعت له في موضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول « ٤ .إن المجاز نوع من أنواع الوضع الخاص بالمعاني ، إذ اللفظ موجود بعينه ، ولا يمسه أي تغيير ، إنما يحدث في اللغة أن يستعمل اللفظ في غير ما وضع له ، لمناسبة رابطة بين المعنيين ، وهو مشروط بالقرينة والسياق ، ولهذا يعد المجاز سببا من أهم أسباب نشوء ظاهرة الترادف والأضداد والمشترك اللغوي ، حتى قيل إنه سبب في حدوث أية ظاهرة لغوية .

التعريب :

وهو قدرة العربية على هضم المفردات الأجنبية . وقد يعجز الناطق بلغة ما عن إيجاد لفظ مناسب للتعبير عما يريد التعبير عنه في لغته فيستعير لفظة من لغة أخرى لتؤدى له ما يريد ، وقد يستعار من دون حاجة إليه ، وهي ظاهرة عرفتها اللغات عامة قديما وحديثا فليست هناك لغة إلا واستعارت من أخرى نتيجة للاحتكاك الحاصل بينها ، وقد دلت الملاحظة على أن اللغات منذ القدم يستعين بعضها بألفاظ بعض ، حدث هذا بين اللغات القديمة وما زال يحدث بين اللغات الحديثة، وانه من المتعذر أن تظل لغة ما بمأمن من الاحتكاك بلغة أخرى ، وإن « تطور اللغة المستمر بمعزل عن

كل تأثير خارجي يعد أمرا مثاليا ، لا يكاد يتحقق في أية لغة، بل على العكس من ذلك، فإن الأثر الذي يقع على لغة ما من لغات مجاورة لها كثير ما يلعب دورا هاما في التطور اللغوي ، ذلك لان احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاك اللغات يؤدى حتما إلى تداخلها « ٥ وقد عد الاقتراض سببا من أسباب حدوث الترادف في اللغة إذ يحدث أن تستعير اللغة لفظا مع موجود مرادف له لأسباب ، فينشأ الترادف ، وقل مثل هذا عن المشترك اللفظي. ولاشك في أن ظاهرة اقتباس المفردات من لغة أخرى أثر من آثار التقاء تلك اللغات واحتكاكها بسبب من العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والثقافية ، فاللغات الإنسانية في تفاعل مستمر ، تأخذ وتعطي ويؤثر بعضها على بعض ، غالبة كانت أو مغلوبة قوية أو ضعيفة ، وقد لحظ علماء اللغات أن أهم ناحية يظهر فيها التأثر ، هي الناحية المتعلقة بالمفردات ، ففي هذه الناحية على الأخص تنشط حركة التبادل بين اللغات ويكثر اقتباس بعضها من بعض.وقد أخذت العربية – كغيرها من اللغات – ألفاظا من لغات أجنبية عبر تاريخها الطويل وذلك سبب من عوامل الاحتكاك اللغوي المشار إليها ، وقد أخضعتها العربية لقواعدها الصوتية وطوعتها في الغالب لأوزانها وأبنيتها وشذبتها حتى صارت هذه المفردات جزءا لا يتجزأ من كيانها الخاص.

٢- الإعراب

وهو سمة من سمات العربية التي تشير إلى خصائصها ، وتبوح بعبقرية أهلها «الذين استطاعوا ، بلسانهم التغلب على المكان والزمان ملخصين تجاربهم ،معبرين عن حاجاتهم المادية والمعنوية ، ناقلين نظرتهم إلى أنفسهم وإلى العالم والكون من حولهم «٦. وهو الإفصاح عما في النفس ، وإظهار المعاني المقصودة بوضوح ،

والإعراب – لفظاً – مصدر معناه الإبانة عن المعاني بالألفاظ . أعربت عن الشيء،وفي الاصطلاح هو أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل في آخر الكلمة. وهو لم يوضع لتحسين الكلام ولا لزخرفته وتلميعه ، بل وضع لتمييز المعاني المختلفة وإيضاحها والدلالة المعنوية عليه . وبعد أن صار الإعراب فنا فنشأ مع علم النحو، استعان به المفسرون في توضيح الآيات في كتبهم المفسرة ، ولذلك كان تعلم الضبط الإعرابي، وقواعد النحو أمرًا ضروريًا في فهم القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف ، والتراث العربي من شعر ومثل وحكمة ؛ لأنه إذا اختلف الضبط الصحيح فسد المعنى .ومن هنا فإن الإعراب قد حفظ العربية وحافظ عليها فكان سمة تضاف إلى سماتها الكثيرة التي جعلت منها لغة قادرة على الدوام برغم التحديات التي تعصف بها ، فبالرغم من صعوبة الإعراب التي يقر به أهلها إلا أنه قد أضاف سعة جديدة إلى المعاني من خلال تعدد دلالات المفردة بتعدد موقعها في الكلام ، ومن خلال الحفاظ على النظام التركيبي الذي يجعل مساحة الاشتراك بين المتكلم والمتلقي أوسع وأرحب ، وهذا من مبادئ الدراسات اللغوية الحديثة التي نظرت إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية .

ثانيا: المصادر الخارجية الموضوعية : ومنها

١- القرآن الكريم

للقرآن الكريم الأثر الكبير في الحفاظ على العربية وتعزيز مكامن القوة فيها ، فهو قد أعطاها أولا ذلك الرباط المقدس بينها وبينه كونه المعجزة الخالدة والدستور الذي يتفق عليه المسلمون وإن تعددت مذاهبهم أو تلونت مشاربهم ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن القرآن قد لفت الأنظار إلى إمكانيات اللغة والطاقات التعبيرية التي تكمن في أسلوب نظم الكلمات في الجمل والنصوص وما ينتج عنها من معان تستطيع أن تعبر عن كل الأغراض والمفاهيم بدقة عالية ، فضلا على أن هذا النص قد حافظ على لون زاه من ألون العربية ، وضمن مرحلة من مراحلها العمرية تعد الأفضل والأنقى ، ولهذا فقد حفظها في ذروة التطور وفي قمة النهوض اللغوي ، ولعل هذا ما يفسر بقاء العربية خالدة

إلى يومنا هذا .لقد لفت القرآن الكريم أذهان العرب إلى هذه اللغة التي كانت موضع تفاخر العرب واعتنائهم من خلال تلك الإبداعات اللغوية التي انتظمت لآلئ ودررا بأسلوب فني وإبداعي فهب العرب المسلمون لدراسته ودراسة لغته ، ومن هنا بدأت أولى مراحل الاعتناء باللغة وجمع مفرداتها في الكتب وتدارس إمكانياتها ، وبدأت مراحل التأسيس للنظريات اللغوية في ذلك الحين ، فانبثق تراث ضخم يحفظ للعربية مكانها ويعلي من شأنها ويؤسس لها طريق الخلود والاستمرار. وحين نشير إلى أن القرآن لفت إلى الطاقة الإبداعية الكامنة للغة العربية تلك الطاقة التي وصلت بها حد الإعجاز فإننا نشير إلى زخم حياتي جديد للغة العربية لم تعهدها من قبل وكانت سببا مباشرا في بقائها حية بين أخواتها من اللغات السامية القديمة . فلم تكن الألفاظ في القرآن الكريم في مجملها مما لم يسمعه العرب ، إلا أن تناسقها كان غاية الإبداع ضمن السياق الجملي ، وهي قريبة التداول بعيدة المعنى ملكت من أسباب البقاء ما أتيح لها أن تنسلخ من ضيق لغة القبيلة الواحدة والبداوة المنغلقة الى أفق أرحب بكثير يعد بداية انطلاقة لحضارة جديدة تستوعب المستقبل بكل تطلعاته . وبرغم ما وصل اليه الأدب العربي قبل الإسلام من الرفعة والرقي إلا أن في لغة القرآن شيئا متميزا في الصنعة والصياغة حتى لو كان اللفظ نفسه ، فعملية التركيب وضم اللفظة الى أختها ، والكلمة الى ما يناسبها ، جعلها في مناخ جديد ، أثر في حياة الألفاظ . والقرآن ليس معجما لمفردات اللغة يضم كل ما استعمله العرب من ألفاظ ، بل هو طريقة استعمال لهذه المفردات ، وليس الذي اعجز العرب عن الإتيان بمثل آياته الشريفة فيما تضمن من ألفاظ اللغة بقدر الطريقة التي جاءت بها هذه الألفاظ ، لذلك القرآن أخذ من ألفاظ اللغة ما هو أقدر على الإحاطة بالمعنى وأبلغ في تقديمه. وهنا تتجلى القيمة الاعجازية للقران الكريم ، فهو الوحيد في تاريخ معجزات الأنبياء الذي رفع من شان لغات البشر فاتخذها وسيلة إعجاز وبرهنة على رسالة السماء، لذلك خلت ألفاظ القرآن من كل تعقيد سواء أكان ذلك التعقيد مبعثه تنافر حروف اللفظة الواحدة أم كان من عدم انسجامها مع قريناتها داخل البناء الجملي وخلت مما تمجه الأسماع من غرابة استعمال أو زيادات في مبنى اللفظة تكون على حساب ذائقة السمع. وبهذا يكون القرآن الكريم قد وهب الألفاظ العربية زخما كبيرا من الحياة من خلال تخطي المدلول الجاهلي للفظة وإضافة مدلولات جديدة استوجبتها المرحلة الفكرية الجديدة للغة الإسلام ، الأمر الذي جعلها تبدو وكأنها جديدة رغم أن لها جذورا ومعاني استعملت في العصر الجاهلي ، كألفاظ القرآن والعقيدة والإيمان والتقوى والمعاد .

٢- التراث القديم الضخم

تستند اللغة العربية بسبب قدمها إلى تراث ضخم من الأدب والتاريخ والمعارف الأخرى ، كتبت بلغة ناصعة فصيحة ، ما زالت إلى هذا اليوم معينا يستقي منه الدراسون وينهل من عذبه الشعراء والأدباء كلما ابتغوا الإجادة في صورهم الشعرية والتراكيب اللغوية . فالشعر ديوان العرب ولا تداني مكانته من جهة القدم والجودة أمة من أمم الأرض أو لغة على هذه المعمورة . ولا ريب في إن ضخامة تراثها وسعته وامتداده رسخ مهم يمدها بالحياة ويجددها كلما أخلق الزمن . وظل الخلفاء والأمراء على امتداد التاريخ يحتكمون إلى هذا التراث كلما أشكل عليهم مشكل ما ، وهم بذلك يعيدون إنتاجها ويحيون مآثرها ، فمما نذكر إشكال الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور على تفسير قوله تعالى ((طلعها كأنه رؤوس الشياطين))٧ بهذه الصورة التخييلية ، إذ من عادة العرب تشبيه الموهوم بالمحسوس لا تشبيهه بموهوم آخر، ففسره العالم اللغوي أبو عبيد بجواز ذلك، لشيوع الصورة في أذهان الناس حتى كأنها حاضرة محسوسة مستندا إلى تراث عربي زاخر بقول الشاعر الجاهلي امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوال

ومثل ذلك حين أشكل على المأمون العباسي قراءته للحديث النبوي الشريف ملحونا ((إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز)) بفتح السين في لفظ (سداد) فصححه له جليسه النضر بن شميل بكسر السين، إذ

يرويها هو ذاته بقوله: ((وكان المأمون متكئا فاستوى جالسا .. فقال: ما الفرق بينهما قلت السداد القصد في السبيل والسداد في البلغة وكلما سددت به شيئا فهو سداد٨، قال أ فتعرف العرب ذلك؟ قلت: نعم. هذا العرجي ، من ولد عثمان بن عفان، يقول: أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسَداد ثغر

فأطرق المأمون مليا ثم قال قبح الله من لا أدب له))٩. وما زالت اللغة إلى هذا اليوم مصدرا مهما لتفسير الصيغ القانونية والفقهية والشواهد على ذلك كثيرة . وهي بعد محل اعتزاز لدى أبنائها المثقفين بشكل خاص والعالم بصورة عامة لعمق امتدادها التاريخي وحضورها في عالم اليوم وهي لذلك تعد مورد قوة لها.

المبحث الثاني
مصادر الضعف

ويمكن تشخيص مصادر الضعف التي تقف عائقا كبيرا أمام حياة اللغة العربية وسيادتها بمصدرين مهمين من أشكال الضعف هما: اللهجات المحلية ، وتحديات العصر الراهن، ولكل منهما تفريعات سنحاول تفصيل الكلام فيها.

أولا: اللهجات المحلية

يمثل ظهور اللهجات العامية انكفاء حادا للغة العربية الفصيحة التي وحدت اللهجات قبل أكثر من ألف عام ونصف، وتدهورا رهيبا في سلم تطورها فهي بمثابة الابن غير الشرعي بالنسبة للغة الفصيحة الأم ، ونموها المطرد سيشكل تهديدا جادا لبقاء اللغة العربية وسيرورتها ناهيك عن انحسار سيادتها واقتصارها على المتخصصين بها فقط. و لا ريب في أن من أكثر التحديات التي تواجه سيادة اللغة العربية اليوم هي مجافاة أهلها لها وإحلال اللهجات العامية المحلية بديلا عنها، مما يعني استبدال خصائص بخصائص وصورة بصورة ، الأمر الذي ينتهي إلى التخلي عن الهوية الجامعة للعرب . للعربية سماتها التي أهلتها لأن تكون القالب الإعجازي للقرآن الكريم ، ولو لم تكن فيها تلك الطاقة لما اتخذ الله –جل وعلا– منها مادة إعجاز لنبوة محمد (ص) ، فهي اللغة الوحيدة من بين لغات البشر لفتت النظر إلى ما كمن فيها من تركيب عجيب ومرونة في الأداء وقدرة على الاستيعاب، واستبدالها بلهجة محلية يعني التخلي عن تلك السمات الإبداعية كلها .

مختصر المعالجة:

ومهما قيل عن أسباب تدهور اللغة العربية وألفاظها فإن أهم ما يمكن القيام به الآن من معالجة لإيقاف هذا التدهور هو:

١- وضع حد لزحف اللهجات العامية عليها.

٢- إيجاد السبل الكفيلة لتحبيب أبنائنا ونشئنا الجديد باللغة، بعبارة ثانية تقوية الجبهة الداخلية للغتنا ثم إظهارها بعد ذلك لغة موحدة تليق بعالميتها.

ولست اشك في أن هذا الهم من أكبر التحديات التي تستعصي على سيادة اللغة، وأقول تستعصي لأن حياة قوة هذه التحديات وضعفها في أيدي أبناء هذه اللغة، فإذا استطاعوا وقف معاول اللهجات المحلية وهدها لأسوار لغتهم الفصيحة وألفاظها فلاشك بعد ذلك في ديمومتها حية غضة طرية .

ماذا تصنع اللهجات المحلية؟ أصبح الصراع واقع حال خطير بين العربية الأم واللهجات المحلية ، غير أن خطورة هذا الصراع يكمن في اعتياش اللهجات المحلية على جسد اللغة العربية الفصيحة وروحها ، فاللهجة المحلية تعمل على التشويه الداخلي للغة والعبث بألفاظها من محورين خطيرين هما : التغيير الصرفي والتحول الدلالي. وسنقف على كل

منهما بتكثيف الفكرة .

المحور الأول: التغيير الصرفي

إن مشكلة اللهجات العامية في عموم البلاد العربية أنها سماعية في تشكيل المفردة والتركيب ، لذلك انبنى نظامها من هذه العشوائية التي تشير إلى بدائية نشوء أي لغة تتخذ من الشفوية أساسا لها . وعلى أساس هذا السماع ستتشكل المفردة تشكيلا مغايرا لأصلها الصرفي ، وقد حصرت الدراسة ثلاث صيغ من هذه التغييرات الصرفية التي تمس الألفاظ الفصيحة هي الإبدال والقلب والحذف وسنحاول توضيح ذلك بالأمثلة من اللهجة التي تخص الباحث وهي العراقية كأنموذج يمكن القياس عليه لباقي اللهجات المحلية العربية.

١- الإبدال : والإبدال في اللهجات المحلية واحد من أشكال هذه الشفوية، وهو وإن كان ظاهرة لغوية طبيعية في اللغة العربية يقصد به تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، إلا أن خطورته في اللهجات المحلية كونه يرتكز إلى استلاب اللفظة الفصيحة خصائصها وإسباغ سمة جديدة عليها ليست من بنيتها ، بعبارة ثانية نسيان الشكل الأصلي للفظة بالاعتياد على الشكل الجديد الذي فرضه الاستعمال المحلي لها ، وهذا النمط يكثر في أغلب الألفاظ التي تتقارب مخارج حروفها إذ تفضل اللهجة العامية نطق الحرف في اللفظ بدءا من مقدم الفم وانتهاء بالحلق. ويمكن توضيح ذلك بالجدول البياني لبعض المفردات الفصيحة التي مسها التحريف واللي .

جدول بالتغييرات الصرفية لأشكال الالفاظ الفصيحة(الأبدال)

اللفظ الصحيح	معناه	اللفظة المحلية	التغيير الصرفي
جأر	رفع الصوت بتضرع واستغاثة	جعر	ابدال الهمزة عيناً
رأبل	الميلان في المشي وتطلق على الذئب	امرعبل	ابدال الهمزة عيناً
دربأ	تدربأ الشيئ تدهدى	دربيته	ابدال الهمزة ياءً
مرأة	واضحة المعنى	امراية	ابدال الهمزة ياءً
أذن	رفع الصوت بالأذان	وذن	ابدال الهمزة واواً
أين	اسم استفهام	وين	ابدال الهمزة واواً
أداه	فعل ماضي	وداه	ابدال الهمزة واواً
أججت	اشتعلت	وجت	ابدال الهمزة واواً
الماظ	البريق واللمعان	الماز او الماس	ابدال الهمزة الى الزاي او السين
ياليت	حرف تمني	ياريت	ابدال اللام راءً
جبريل		جبرين	ابدال اللام نوناً
سرط		زلط	ابدال السين زاياً
حندس	الليلة المظلمة	هندس	ابدال الحاء الى الهاء

٢- القلب : والمقصود به القلب المكاني وهو ((تقديم بعض حروف الكلمة على بعض)) (١٠) ، وهو في اللغة الفصيحة أمر شائع مثل (جذب وجبذ) ومثل للمقلوب بـ (يئس وايس) . ولا ضير على اللغة من القلب لاسيما مع استعمال الشكلين من اللفظين ، غير أن الإشكال يكمن حين يغير الشكل الأصلي ويستعمل الجديد فقط ، وفي العامية لا يوجد قلب بالمعنى الاصطلاحي لهذه الظاهرة اللغوية بل هو لي وتحريف وإنما أطلق هنا من باب التجوز لأن القلب يعني أن يكون اللفظان مستعملين أصلا وليس هو الحال في العامية ، العامية تقلب اللفظة الفصيحة إلى لفظة أخرى لا وجود لها وتستعمله بمعنى اللفظة الفصيحة

، إنها تستعمل جسدا مشوها بروح نقية ، هذا ما يجري على اللسان المحلي في الأداء اليومي ويمكن توضيحه في الجدول البياني الآتي :

جدول بالتغييرات الصرفية لأشكال الالفاظ الفصيحة (القلب)

اللفظ الفصيح	معناه	اللفظ المحلي	التغيير الصرفي
حشرج	الغرغرة عند الموت	شحرج	اللسان العامي يفضل نطق الحرف الشفوي اولاً على الحرف الحلقي لذا قدم الشين على الحاء
دعرم	قصر الخطو	درعم	الذي يكثر الكلام
طحلب	الخضرة على رأس الماء	امطحبل	تطلق على الشخص القصي الممتلئ وحصل فيها قلب كما هو واضح

ويبدو من الجدول الآنف أن اللهجة المحلية تستسهل تقديم الأصوات الشفوية على الحلقية لسهولة نطقها، فتعمد إلى لي اللفظة الفصيحة لتناسب الطبيعة الجديدة لمخارج الأصوات أو تركيبها بسبب اعتياد مجافاته للتركيب الأصيل للفظة العربية مثل ذلك لفظة (حشرج) الفصيحة وتستعملها اللهجة العامية (شحرج) على الرغم من عدم وجود لفظة بهذا المعنى والشكل في الاستعمال العربي الفصيح .

ثانيا: التحول الدلالي: يعد التحول الدلالي للألفاظ الفصيحة في اللهجات العامية نموا سلبيا في عمرها لأنها تستعمل بعيدا عن مجالها الدلالي الذي نمت فيه، فهو- إذن - لي آخر تشهده الألفاظ الفصيحة، ولكن هذه المرة باستعمال الشكل نفسه بمضمون آخر ، وهذه الظاهرة يمكن رصدها بالجدول البياني الآتي :

جدول بالتغييرات الدلالية للالفاظ الفصيحة

اللفظ الصحيح	معناه	اللفظ المحلي	الغيير الدلالي
غبر	من الغبار وتستعمل للذئب والمسافر	أغبر	تستعمل في اللهجة المحلية للشتم والنيل من الشخص
بع	التتابع والتركيز	باوع	مرت بتحول صرفي ودلالي

ثانيا : تحديات العصر الراهن

ويمكن حصر تحديات العصر الحديث بوجه اللغة العربية بثلاثة تحديات هي :

التحدي الأول : شبكات التواصل الاجتماعي

أصبحت اليوم شبكات التواصل الالكترونية وسيلة مهمة من وسائل الاتصال اللغوي بين أبناء العربية – مدار بحثنا – وتبادل الأفكار والتحيات ، مثل الـ face book و twitter ، وهي من نتاج عصر الـ inter net الذي جعل العالم في قرية واحدة فعلا . وتشكل هذه الشبكات الالكترونية تحديا كبيرا بسبب سهولة استعمالها كلغة ، وانتشارها سريعا. ويبدو إن تشخيص الضعف في التداول اللغوي الالكتروني يرجع للأسباب الآتية :

١- التساهل باستعمال اللغة والخطأ في تشكيل ألفاظها
٢- إعادة الاستعمال المغلوط بسبب سهولة انتشاره
٣- غياب النخب بشكل عام عن هذه الوسائل الالكترونية الجديدة .
٤- أنها بوابة كبيرة لنشر العاميات المختلفة .
٥- غير خاضعة لضوابط الكتابة الصحيحة .

و يرجع حصر هذه الأسباب إلى إجراءات مسحية للمشتركين معنا في صفحات الـ face book بعد أن تم

إحصاء طبيعة الأغلاط الإملائية ودراستها على وفق جداول من النشر أو التعليقات .

بعض من الناس يرى في تساهل اللغة أمرا طبيعيا طالما أن الفكرة تصل وأن لا داعي للبحث في قضية الإملاء السليم أو التركيب الصحيح ، وهذه القناعة السلبية هي التي سهلت شيوع العاميات وأنبتتها من داخل لغتنا الأم .

التحدي الثاني : الإعلام

لا ريب في أن الإعلام اليوم مادة ثرية يمكن أن تكون عامل قوة للغة العربية لو أمكن استثماره على نحو سليم ، مثلما يمكن أن يكون مورد ضعف لها يمكن أن تؤتى من جانبه. ونحن نعد وسائل الإعلام مصدر ضعف للغة اليوم بسبب ضعف المتكلمين باللغة الفصيحة وتساهلهم باستعمال ألفاظها وتراكيبها اللغوية ، ويمكن حصر أسباب الضعف بما يأتي :

١- سعة وسائل الإعلام وقوة انتشارها .

٢- ضعف استعمال اللغة لعدم مهنية الإعلاميين بشكل عام .

٣- استعمال اللهجات المحلية بديلا سيئا للغة الأم.

٤- سهولة التأثر بلغة الإعلام الركيكة والضعيفة أصلا ، ولاسيما من حديثي السن والصغار وإعادة إنتاج الأخطاء اللغوية .

لذلك كله يعد الإعلام واحدا من أكبر التحديات التي تقف بوجه لغتنا ما لم نعد العدة له ، ونعمل مجتمعين لتدريب المتصدين للعمل الإعلامي على استعمال صحيح للغة العربية ، وإقناعهم بعدم استعمال اللهجات المحلية، سواء في البرامج التثقيفية أو وسائل الإعلان المختلفة .

التحدي الثالث: المعارف الحديثة

تتهم العربية اليوم بأنها ليست لغة المعرفة الحديثة ، بسبب ابتعادها عن الإنتاج المعرفي والعلوم المحضة، والاتكال على اجترار اللغة التراثية من التاريخ والأدب. ويرون ذلك دليلا على انحسارها ووجوب تبديلها بلغات أخرى مواكبة لسيرورة الزمن و العصر الحديث على حد زعم من يتبنى مثل هذه الأفكار. وهنا لابد من الوقوف على مجموعة من الحقائق ومناقشتها:

أولا: إن من الأسباب الرئيسة لسيادة لغات أخرى في العالم غير العربية كالانكليزية والفرنسية هو إن النهضة العلمية الحديثة كانت من نتاج أبناء هذه اللغات من الغربيين. فمنذ القرن التاسع عشر وإلى هذا اليوم من الألفية الثانية ما زالت هذه اللغات مادة انتاج حيوية للعلوم المحضة والتجريبية في شتى المجالات الطبية والفيزياوية والكيميائية والرياضية وغيرها ، وهي أصبحت محل اقتداء واقتباس بسبب الفائدة العظيمة التي قدمتها للإنسانية وما فعلته من نقلة نوعية في سلم التطور والرقي في تاريخ الحضارات البشرية . ومن الطبيعي أن تدرس هذه المعارف في مناشئها وتنقل بأفكارها الأصلية ولغاتها الأجنبية، لأنها ليست من نتاج العربية أصلا . وهو من جهة خطيرة يشير إلى تراجع أبناء العربية في مواكبة العصر والإنتاج المعرفي فاللغة وعاء الفكر . وهذا شأن الحضارات، يتم بعضها نقص بعض ، فإلى قرون ماضية كان إنتاج مثل هذه المعارف يتم باللغة العربية على أيدي علماء من مختلف بقاع العالم كجابر بن حيان والحسن بن الهيثم وابن سينا والفارابي والرازي وغيرهم من القائمة الطويلة التي لا أشك في أن علماء الغرب لاسيما جارتنا أوروبا قد تعلموا العربية وترجموا هذه المعارف وأفادوا منها في ثورتهم العلمية في الوقت الذي كنا مشغولين بالانقسامات ولوك التاريخ . نعم نحن نقر بأن المعرفة اليوم تشكل مصدرا من مصادر الضعف الذي يواجه لغتنا وقد أضعفها إلى حد كبير بحيث بدت وكأنها لا تصلح إلا إلى لغة الشعر والأدب، ولا يمكن أن تكون لغة للمعرفة الحديثة بحيث أصبح الطبيب والمهندس والفيزياوي والكيميائي لا شأن له بالعربية

وليست مادة تفكيره طالما أن ما يتلقى من علوم من لغة أجنبية ، نقر بذلك كله ، ولكن ذلك تشخيص للداء نرجو منه الوصول إلى ابتكار الدواء ، وهو ببساطة وجوب النهوض العلمي في بلداننا والتفكير بلغتنا وتفجير الطاقات العقلية على تربة هذه اللغة . باختصار : نفعل مثلما فعلت أوروبا معنا ، نقل العلوم وترجمتها وعدم الاكتفاء بذلك ، بل العمل على تطويرها وتوظيفها في خدمة الإنتاج المعرفي . وفي بعض الجامعات العربية كالجامعات العراقية فرض على الأقسام العلمية المحضة تعليم العربية العامة وأدخل في مناهجها كحل لعدم الابتعاد عن اللغة الأم ، وهو إجراء ترقيعي لا يمضي أبعد من الشكل ولا ينفذ في اللباب ، فنحن نبتغي أن تكون اللغة مادة الإنتاج العقلي لهذه الأقسام وتفكيره .

ثانيا: في نظرة مستقبلية يكمن أن نسأل أنفسنا : هل المستقبل كفيل بالنهوض بالمستوى المعرفي للعقلية العربية وهو السبيل لنهوض السيادة الطبيعية للغة ؟ أيمتلك العرب اليوم مثل هذه المقومات ؟ أتستطيع الجامعات العربية أن تقفز بالمستوى العلمي إلى مصاف الجامعات العالمية الرائدة في الإنتاج المعرفي العقلي ؟ هل الدول العربية وضعت مثل هذه الاستراتيجيات ؟ إن امتلاك الإجابة يحدد لنا مصير لغتنا في المستقبل طالما أقررنا بأن تطور اللغات وضعفها وقوتها أصبح مرتبطا بالآلة المعرفية الإجرائية والإنتاجية . لماذا تسود العالم اللغة الانكليزية والفرنسية ؟ أ لأنها سهلة كما يزعم ؟ وهل جربنا لغات البشر في شرق الأرض وغربها حتى نعرف من الأسهل ! أليس الأمر مرتبطا بسيادة الأقوياء وأعني بها قوة الاقتصاد وقوة العقل وقوة القيادة وقوة الفكر وقوة إدارة ذلك كله .

الخاتمة

مما سبق يمكن حصر النتائج الآتي :

١- للغة العربية مصدر قوة هائل مكنها من الثبات بوجه الأزمنة المختلفة .

٢- حددت مصادر قوة اللغة من الداخل بالمرونة الاشتقاقية وبخصوصيتها الإعرابية وتعريبها للألفاظ الأجنبية وباتساعها المجازي . أما مصادر قوتها الخارجية فقد تمثلت بلغة النص المقدس – القرآن الكريم – وبالتراث الأدبي والعلمي الضخم .

٣- حددت الدراسة مصادر الضعف للغة العربية بأشكال عدة وهي بحسب خطورتها : اللهجات المحلية وتحديات العصر الراهن المتمثلة بشبكات التواصل الاجتماعي وبالإعلام وبالثراء العلمي المعرفي المعاصر.

فهرس المصادر

أولا : المصادر والمراجع

× القرآن الكريم
× أساس البلاغة، الزمخشري : دار صادر – بيروت . ١٩٧٩
× الاشتقاق : ابو بكر السراج ، تح محمد صالح التكريتي ، مط المعرف ، بغداد ، ١٩٧٣
× الاشتقاق والتعريب : عبد القادر بن مصطفى المغربي ، مط لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٤٧ .
× تاج العروس ، الزبيدي ،تحقيق:علي شيري ، ١٩٩٤م الفكر – بيروت
× تاريخ مدينة دمشق،ابن عساكر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ .
× تحريف العامية للغة الفصحى في القواعد والبنيات والحروف والحركات ،شوقي ضيف ، دار المعارف – مصر .
× الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تحقيق: محمد علي النجار، الطبعة الثانية ، دار الهدى للطباعة ، بيروت– لبنان.
× دراسات في فقه اللغة : د . صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، ط٥ ، بيروت ١٩٧٣
× ديوان امرئ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، الطبعة الرابعة. دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٤م .
× ديوان عمر بن أبي ربيعة تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد مطبعة المدني القاهرة – ١٩٦٥ .

× ديوان كعب بن زهير، تحقيق: علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ،بيروت ، ١٩٨٧م .
× سر الفصاحة ، عبد الله بن سنان الخفاجي، تحقيق عبد المتعال الصعيدي ، مطبعة محمد علي صبيح ، مصر ، ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣ م .
× شرح شافية ابن الحاجب ،رضي الدين الأستراباذي ، تحقيق محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ،محمد محيي الدين عبد الحميد ،١٩٧٥-دار الكتب العلمية ،بيروت.
× الصحاح ، الجوهري ، أحمد عبد الغفور العطار، ط٤، ١٩٨٧ م، دار العلم للملايين - بيروت - لبنان
× علم الأصوات اللغوية . د.مناف مهدي الموسوي ،عالم الكتب ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
× علم اللغة، د. علي عبد الواحد وافي ، مط دار نهضة مصر ، ط٧ ، القاهرة
× غريب الحديث ،الحربي ،تحقيق: دكتور سليمان العاير، ط١-١٤٠٥هـ ، ،دار المدينة للطباعة والنشر والتوزيع – جدة.
× في اللغة العربية وبعض مشكلاتها، أنيس فريحة ، ط١ ، بيروت ، ١٩٧٨ .
× في اللهجات العربية ، د. إبراهيم أنيس ، مط الفنية الحديثة ، مصر ، ١٩٧٣ .
× القاموس المحيط ،الفيروز آبادي ،بدون تاريخ .
× الكتاب، سيبويه (ابو بشر عمر بن عثمان بن قنبر) تح : عبد السلام محمد هارون مط الهيأة المصرية العامة ، بيروت .
× لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور المصري،دار صادر ودار بيروت ، لبنان ١٣٧٩هـ. ١٩٥٥م.
× اللغة ، ج فندريس ، تعريب عبد الحميد الدواخلي ، محمد القصاص ، مط لجنة البيان العربي ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
× المجاز في البلاغة العربية : د. مهدي صالح السامرائي ، مط دار الدعوة ، ط١ ، ١٩٧٤ .
× مسند أبي يعلى ،أبو يعلى الموصلي ،تحقيق:حسين سليم أسد،ط١- ١٩٩٢ م، دار المأمون للتراث.بغداد.
× المعجم المفصل في علم الصرف ، إعداد راجي الأسمر ، مراجعة د.إميل يعقوب،دار الكتب العلمية ،ط١-١٩٩٣م ، بيروت .
× المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم : أبو منصور الجواليقي ، تح : أحمد محمد شاكر ، مط دار الكتب ، ط٢ ، ١٩٦٩ .
× من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس ، مط لجنة البيان العربي ، ط٢، مصر .
× الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، ابو عبدالله بن محمد بن عمران المرزباني ، مط السلفية ، مصر ، ١٣٤٣ .

ثانيا : الرسائل الجامعية

× أساليب المجاز في القرآن الكريم ، أحمد الجبوري ، رسالة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٨٩
× التعليل اللغوي والنحوي في القرن الربع الهجري (أطروحة دكتوراه) ، ميثم مهدي ، كلية الآداب – جامعة الكوفة ، ٢٠٠٧م .

الهوامش

١ اللغة : فندريس ،٢٢٦ .
٢ كتاب أرسطو طاليس : الشعر ، ترجمة وتحقيق : شكري عياد ، ١١٦ .
٣ ظ : المجاز في البلاغة العربية : مهدي السامرائي ، ٢٤ .
٤ م.ن ، ٣٢٥ .
٥ اللغة : فندريس ، ٣٨٤ .
٦ دراسات في فقه اللغة ، ٢٣٧
٧ الصافات : ٦٥

٨ ظ. أساس البلاغة، الزمخشري : ٢٩٠
٩ تاريخ مدينة دمشق،ابن عساكر: ٣٣/ ٢٩٤
١٠ شرح الشافية ، الرضي : ٢١/١.